ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Man and Woman in the Iraqi Rural Mind and the Problem of Chronic Overriding

Assist.Lect.Ahmed Saleh Ahmed

Department of Sociology
College of Art
University of Tikrit
Saladdin, Iraq

***Keywords*:**
Man
Woman
Mind
Rural community

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 11 Nov. 2019
Accepted 8 Dec 2019
Available online 8 Dec 2019
Email: adxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

The Iraqi society, in general, and the rural areas, in particular, suffers from a recognized patriarchal dominance. This is despite the fact that each of the two sexes constitutes a significance part in the social fabric and in life in general. This is the main reason behind studying the main aspects of family's life.

The researcher examines this problem through the prism of rural man's ignorance and how he himself and his family as well are affected by it. The researcher, furthermore, examines the methods that are followed to generate certain social system that view man and woman differently.

The importance of this study stems from the desire to explain how man dominates women. The research also explains how rural society should determine an equal vision towards man and women.

The researcher concludes that the main reason behind rural man's ignorance is the sudden change in society in the aftermath of 2003. This is enhance by the illegal relations that are conducted by man and have been accepted by society. All of this makes man stronger in society. The researcher presented, finally, suggestions about the awareness programs regarding women rights in the rural society.

© 2019 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.26.2019.16

الرجل والمرأة في العقل العراقي الريفي / اشكالية الهيمنة المزمنة

احمد صالح احمد داود / جامعة تكريت / كلية الآداب

الخلاصة:

يعاني المجتمع الريفي في العراقي بشكل عام من سلطوية ذكورية واضحة، رغم ان الرجل والمرأة يشكلان معاً جوهر الحياة الاجتماعية، فلا طعم لحياة أحدهما دون الآخر. على هذا فقد جاءت هذه الدراسة لتتناول بعض جوانب الحياة الأسرية.

جاءت مشكلة الدراسة عبارة عن تساؤلات حول اسباب وجود التناشز لدى الرجل الريفي تجاه نفسه واسرته. وعن نظرة المجتمع تجاه الرجل والمرأة. أما الأهمية فلأنها محاوله لكشف الأطر التي منحت الرجل سلطة

مطلقة على المرأة. وتهدف الدراسة لمعرفة أسباب تناشز الرجل الريفي تجاه نفسه واسرته، وتحديد نظرة المجتمع الريفي تجاه الرجل والمرأة معاً.

تناول المبحث الثاني طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، مركزا على سلطوية الرجل وضعف المراة. اما المبحث الثالث فكان عن تربية الاطفال وطرق تنشئتهم وما تؤول اليه اساليب التنشئة المتبعة من قبل الاسرة.

اوضحت الدراسة ان من اسباب التناشز هو التغير السريع والمفاجئ الذي تعرض له المجتمع عقب الاحتلال الامريكي. وان علاقات الرجل خارج الزواج لها مقبولية او غض النظر عنها من قبل المجتمع.

مقدمة

يعد الرجل والمرأة كلٌ لا يتجزأ، فكل منهما مكمل للآخر، ولا تستقيم حياة احدهما دون الثاني. ولهذا فالحياة الاجتماعية بصورتها الشاملة هي عبارة عن تكامل هذين الشقين. وما يحدث اليوم من تفريق وتمييز احدهما عن الآخر، إنما هو نتاج لاختلاف الثقافات.

ورغم كل المكاسب التي نالتها المرأة في ظل حركات التحرر والمساواة التي تبنتها المنظمات الدولية والعالمية، الى يومنا هذا الذي صارت فيه المرأة تتمتع بكامل حقوقها وتزاحم الرجل في كل مناحي الحياة، فلايزال البعض ينظر اليها نظرة قاصرة، ويعتبرها اقل شأناً من الرجل. وهذا ليس مقتصراً على الرجال فقط، بل ان بعض النساء يحملن مثل هذه النظرة تجاه انفسهن، ويرين انهن الاقل شأناً، وهذا ينطبق الى حد كبير على مجتمعاتنا العربية، ومنها المجتمع العراقي، وخصوصاً الأرياف.

رغم ان هذه النظرة تختلف باختلاف المجتمع وطبقاته، فهي تقل حدة بازدياد تحضر المجتمع ورقي ثقافته، وتزداد كلما انحدرت الثقافة الى مستوياتها الدنيا.

المبحث الأول

عناصر الدراسة

مشكلة الدراسة

يمكن ان نلخص مشكلة دراستنا هذه بوجود قيم وعادات وتقاليد اجتماعية راسخة في الريف العراقي على وجه الخصوص، ويمكن ان نصوغها على وفق التساؤلات الآتية:

١- ما هي الاسباب التي ادت الى وجود حالات تناشز في الفرد العراقي تجاه نفسه واسرته؟
٢- هل ينظر المجتمع بالرؤية نفسها تجاه الرجل والمرأة على السواء؟

٣- ما هي اساليب التنشئة التي تؤدي لانتاج نمط معين من نظرة المجتمع تجاه الرجل والمرأة؟
٤- هل تتبع الاسر نظام تنشئة قائم على الحوار بين الابناء ذكورا وإناث؟

أهمية الدراسة

تكمن اهمية البحث بأنه محاولة لكشف الأطر التي منحت الرجل سلطة مطلقة على المرأة، واباحت له ما حرمته عليها، مركزين على العقلية العراقية الريفية، إذ ان المدن والحواضر اكثر انفتاحاً من الريف، وبهذا فالمرأة فيها تتمتع بشيء من الحرية والاستقلالية يزيد عما موجود في الأرياف.

اهداف الدراسة

حدد الباحث مجموعة اهداف يسعى لتحقيقها من خلال دراسته هذه وهي:

١- تحديد الاسباب التي ادت الى تناشز الفرد العراقي تجاه نفسه واسرته.
٢- معرفة نظرة المجتمع تجاه الرجل والمرأة؟
٣- معرفة الاساليب التي يتبعها المجتع لتنشئة ابنائه الذكور والإناث؟

نوع الدراسة والمنهج المستخدم

ان دراستنا هذه هي دراسة الوصفية استعمل بها الباحث منهج المسح الاجتماعي، الذي يعرف بأنه: الدراسة العلمية للظواهر الموجودة في جماعة معينة وفي مكان معين[١]. واداته في هذا هي الملاحظة البسيطة من خلال تحليل طبيعة الحياة الاسرية في المجتمع الريفي العراقي والطريقة التي يعامل الرجل افراد اسرته، إذ أن الباحث هو من ابناء المناطق الريفية.

المبحث الثاني

الرجل والمرأة

يذكر حنا بطاطو ان نسبة الريفيين في بداية تأسيس الدولة العراقية كانت تزيد على نصف السكان[٢]، اما الحضريون فهم قلة قليلة تنحصر في مدينة بغداد وبعض المدن الاخرى. اما بقية السكان فهم من البدو الرحل. وبهذا فحتى الحضريين كانوا يحملون الكثير من العادات والتقاليد الريفية التي ورثوها من ابائهم او اكتسبوها من اهل الريف الوافدين الى المدينة.

وتعرض المجتمع العراقي الى تغير سريع ومفاجئ عقب الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧. وفي رأي الوردي ان التناشز* ينتج عن التغير الذي يطرأ على المجتمع، وبخاصة التغير السريع. وتختلف وتيرة

* التناشز الاجتماعي كما عرفه الوردي هو ان يكون هناك جزءان مترابطان يحدث التغيير في احدهما دون ان يحدث في الاخر، او قد يحدث في احدهما اسرع مما يحدث في الاخر، فيؤدي ذلك الى صراع

التغير بحسب العوامل المؤدية اليه، كما يختلف المجتمع بمستويات التأثر. فيذكر الوردي نوعين من التغيير، بطيء وسريع، فالبطيء يمكن للمجتمع ان يتكيف معه ويتلاءم فلا يحدث صراع او تناقض بينه وبين الجديد، لأن المجتمع استطاع ان يتكيف مع المتغيرات شيئا فشيئا. اما التغير السريع والذي شبهه الوردي بالحرب العالمية الأولى وما رافقها من دخول معالم الحضارة الحديثة، فهذا النوع هو الذي احدث صراعات وتناقضات كثيرة في المجتمع العراقي[٣]، واحدثت ما اسماه الوردي (تناشز اجتماعي) جعلت الوردي يتناوله بالبحث والدراسة.

وبناء على رأي الدكتور الوردي هذا، فقد تعرض المجتمع العراقي الى حوادث كثيرة وكبيرة ابتداءً من تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١م والى اليوم، ادت الى حدوث هزات عنيفة للمجتمع غيرت الكثير من العادات والتقاليد، نذكر منها على سبيل المثال مثلاً العديد من الثورات التي ادت الى تغيير انظمة الحكم، والحروب التي تعرض لها المجتمع العراقي وسنوات الحصار انتهاءاً بالاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣. ودخول التكنولوجيا بكم هائل، ما احدث نقلة نوعية في طبيعة الحياة وأنماط التنشئة المتبعة. ومعلوم ان فترة الاحتلال الامريكي رافقها ايضاً دخول الكثير من المنظمات الدولية والعالمية التي تنادي بحقوق الانسان والأقليات ومنح المزيد من الحريات للفئات المهمشة كالمرأة والطفل وغيرها.

وقد ادى هذا الى تغيير نمط تفكير الفرد العراقي بشكل عام، وخاصة فيما يتعلق بالأسرة والمرأة وكيفية التعامل معهما من جانب رب الاسرة المتمثل بالرجل.

ويرى الدكتور الوردي ان التناشز ظاهرة عامة، وليس مقتصرة على مجتمع دون غيره، فكل مجتمع يمر بمرحلة تغيير سيصاب بشيء من التناشز، يقل او يزيد بحسب درجة التغيير الذي يمر به المجتمع[٤].

وقد ذكر الوردي عدداً من اوجه التناشز التي يعاني منها المجتمع العراقي، منها تناشز الحقوق والواجبات، وتناشز المدارس والوظائف، وتناشز الرجل والمرأة، وتناشز الدين والجيل الجديد. وما يهمنا هنا هو تناشز الرجل والمرأة على وجه التحديد.

لم يكن نصيب الريف العراقي اقل من نصيب المدينة في هذا التغيير، لكن الذي حدث ان الرجل العراقي الريفي رغم كل هذا بقي متمسكاً بالكثير من العادات والتقاليد المتشددة فيما يتعلق بالأسرة والمرأة والابناء، وربما هذا يعود بجزء منه الى طبيعة البناء الاجتماعي في الريف من جانب، والظروف والعوامل النفسية والاجتماعية التي كونت الشخصية الريفية وجعلها متمسكة بهويتها من جانب اخر. فما الشخصية

او توتر او تناقض بينهما. ينظر: د. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، د.ت، ص٣٠٠ .

إلا تركيب نفسي يتألف من صفات مختلفة يميل الى الانسجام والتوافق مع الثقافة الاجتماعية السائدة[٥]. ويختلف الناس تبعاً لتفاوت مقدرتهم في التجاوب مع ثقافة الجديدة.

وعودة الى اراء الوردي، فهذه المدخلات من تكنولوجيا جديدة محملة بأنوع شتى من الثقافات ودعوات التحرر بالإضافة الى الإرث الثقافي والحضاري الذي يفخر ويتغنى به العراقي، باتت متصارعة مع ما يحمله الرجل العراقي من عادات وتقاليد يفرضها عليه المجتمع، وهي تفرض عليه سلوكيات معينة، جعلته يمارس سلوكيات متناقضة مزدوجة بين الحين والآخر.

يرى البعض ان هناك تعارضاً بين البنية الاسرية المتمركزة حول سلطة الأم والبنية الأسرية المتمركزة حول سلطة الأب[٦]. ونحن نرى ان هذا ممكن يحدث في المجتمعات التي بها نوع من التوازن في السلطة بين الأب والأم، أما في مجتمعاتنا الريفية فهو نادر الحدوث بسبب السيادة المطلقة للرجل على اسرته في البيت، إذ يرى (باخوفن Bachofen): ((ان سلطة أب الاسرة متجذرة في نهاية الأمر في البنية التسلطية للمجتمع برمته))[٧].

العقل العراقي الريفي

إن العقل العراقي وبخاصة الريفي اعطى للرجل صلاحية مطلقة وسيادة كاملة في البيت، فهو الامر الناهي بغض النظر عن وجود شريك ام لا، **(لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون)**[٨]. إن هذا تفويض لا جدال فيه وكأنه منزل من السماء، فليس من حق طفل او امرأة او اي شخص الاعتراض على تصرف رجل البيت او حتى ايديولوجيته.

رغم هذا فإن الكثير من ابناء الريف اليوم بات يستهجن السلطوية التي يمارسها الرجل على اهل بيته، وكأنه سيد وهم عبيد، وهؤلاء جلهم من المتنورين بتحصيل دراسي او لكثرة اختلاطهم بالمجتمعات الاخرى ما غير من انماط تفكيرهم. ولكن تبقى مشكلة هؤلاء انهم اسرى العادات والتقاليد التي نشأوا عليها، فهم لا يملكون القدرة على مواجهة المجتمع، او نقده على مثل هذه الممارسات. ويبقى همهم الأول أن يتبعون عادات قبيلتهم وعشيرتهم التي هي مناط المفاخرة بينهم[٩]، رغم ما يظهرون من انماط الاتكيت والتحضر والتسامي فوق العادات والتقاليد البالية حسب ما يزعمون.

إن السلطة التي منحها العقل الريفي للرجل منحته حقوقاً مكتسبه من اسرته ولم تفرض عليه واجبات – وهذه احدى اوجه التناشز التي ذكرها الدكتور الوردي – ولا اعني هنا انه مجرد من الواجبات مطلقاً، ولكن اعني فيما يخص التصرف والمساءلة.

ومن الظواهر التي يناسب ذكرها في هذا المجال، ان الرجل الريفي ومع دخول التكنولوجيا لا يتوانى ان يستخدم هذه التقنية او تلك بعلاقات خارج اطار الزواج، او هي اقل ما يقال عنها انها مريبة، معللا ذلك ان هذا لا يعيب الرجل ما دام هو يعود في نهاية مشواره الى داره وبين افراد اسرته، وهو بهذا

لا يقبل النقد من احد سواء كان من افراد اسرته او غيرهم. وفي مقابل هذا كله نجده يغلظ على اهل بيته اي تصرف من هذا القبيل بل قد يحرمهم حتى اقتناء الجوال فهو بزعمه مفسدة للأسرة والمرأة على السواء.

لم يكن الرجل الريفي ليتصرف مثل هذا التصرف لولا وجود حماية من المجتمع الذي يعيش فيه، فهناك مقبولية او لنقل غض النظر عن تصرفات الرجل وعلاقاته المشبوهة، يقابلها تشديد وتشنيع اي فعل تقوم به الأسرة وبخاصة المرأة مشابه لما قام به الرجل، لأن المرأة تمثل شرف الأسرة.

ومن جميل ما يذكر الوردي في هذا الصدد أن الفتى ربما يغرم بإحدى الفتيات ويغريها بمعسول الكلام ويعدها، حتى اذا استجابت له وطلبت الزواج ثارت لديه التقاليد العائلية القديمة، مظنة منه انها غير عفيفة وغير جديرة بأن تكون زوجة له وأما لأطفاله، فهي قد احبت وعشقت وهذه بنظره ليست من صفات العفة، فيتركها ويبحث عن فتاة غيرها عفيفة محتشمة ومحافظة[١٠]. ومن غير ما يعترض عليه احد او يشعر هو بالذنب او تأنيب الضمير. السؤال هنا: إن كانت هذه الفتاة غير عفيفة بزعمة، فمن افسد عفتها، أليس فساد الفتى هو السب؟.

تأمل هذا التناشز وهذه الازدواجية التي لاتزال متأصلة في عقول ونفوس الكثيرين، فهم يقيمون الحد على الأنثى دون الرجل – ليس الحد الذي اقرته الشريعة، لأن الرجل والأنثى في الحدود سواء – بل الحد الذي اقره العرف الفاسد، فهو يفرق بين مرتكبي الجريمة بحسب الجنس او النوع الاجتماعي. ولهذا نجد اليوم كثير من الدعوات المناهضة للعنف ضد المرأة، وقد تبنت بعضها نساء ناشطات، رغم انهن يصطدمن بعالم الرجال المحبين للهيمنة المستمدة من ثقافة المجتمع، لكنهن يحاولن نزع هذه الحقوق والحصول على اعتراف المجتمع بها.

إن المتمعن لهذه السلوكيات التي يسلكها الرجل تجاه الأسرة والمرأة على وجه الخصوص، سيجد انها فضلاً عن انطوائها على كثير من التناقضات والازدواجية والتناشز، فهي لا تخلو من مفهوم عرض له (اكسل هونيث)* هو مفهوم الاعتراف. الاعتراف الذي يسعى الرجل الى تأكيده دائما متمثلاً بالقوة

---

* فيلسوف الماني ولد في مدينة إيسن بألمانيا عام ١٩٤٩، درس الفلسفة وعلم الاجتماع في بون ثم واصل دراساته الاكاديمية في جامعة برلين، وبعد ذلك التحق بمعهد ماكس بلانك، واستقر في الاخير بجامعة غوتة بمدينة فرانكفورت لتدريس الفلسفة الاجتماعية، كان في بداية حياته الفكرية متأثرا بأستاذه يورجين هابرماز ثم عمل على تأسيس فلسفة اجتماعية جديدة تقوم على براديغم جديد، اي الاعتراف وامست له شهرة عالمية واسعة في البلدان الأوربية والعالم الانغلوساكساني وخاصة الولايات المتحدة وكندا وترجمة اهم اعماله الى اللغتين الانكليزية والفرنسية. ومن مؤلفاته: نقد مفهوم السلطة ١٩٨٥، الصراع من اجل الاعتراف ١٩٩٢، مجتمع الازدراء: نحو نظرية نقدية جديدة ٢٠٠٢، حول راهنية فلسفة الحق لهيجل ٢٠٠١، التشيؤ ٢٠٠٥.

واستمرار الهيمنة، وبين محاولات المرأة المستمرة للحصول على هذا الاعتراف. وإذا ما أردنا اجراء اية مقاربة لهذا المفهوم فلابد ان تستدعي هذه المقاربة مفهوم (الصراع من اجل الاعتراف)، فكل اعتراف لابد ان يصحبه صراع.

إن الاعتراف – بحسب هيجل – هو هوية الفرد ووجوده، وهو مرهون بارتباط الفرد العضوي والمتكامل بالمجتمع الذي يعيش فيه ويأخذ فيه ادواره الاجتماعية والسياسية ... لأن الذات لا تستغني عن التفاعل والانفتاح على الغير، ولا تبقى في حالة انغلاق على ذاتها[١١]. فهي بالتفاعل والانفتاح تحقق الاعتراف لذاتها، فإذا ما عدمت هذين الشرطين عُدمت الاعتراف. ولا يأتي الاعتراف إلا بعد صراع، هنا يكمن سر الصراع بين الرجل والمرأة في وقتنا الحاضر، فالمرأة تقوم بمحاولات عدة للاتصال والتفاعل بالمجتمع من خلال مطالبتها باكمال دراستها او بالانخراط في سوق العمل، ... الخ. هذا كله لانتزاع هويتها المطموسة وحصولها على اعتراف الرجل بحقوقها، لكن محاولاتها غالبا ما تبوء بالفشل لهيمنة الرجل على طابع ونمط الحياة في الاسرة الريفية، لذا اصبح الصراع سمة ملازمة للاعتراف.

وهناك من يقول إن الهيمنة التي يمارسها الرجل الريفي على المرأة، جاءت من الصفة الذكورية التي يتصف بها الرجل. إن هذه صفة لم يكتسبها الرجل بجده واجتهاده ولم يكن لها فيها ارادة، كما ان المرأة ولدة امرأة ولم تكن مخيرة في امرها، ولو اسند اليها الأمر لاختارت ان تكون رجلا، لِما رأت من هيمنة الرجل عليها بدون وجه حق.

إن ما يتمتع به الرجال من امتياز القوة والهيمنة هو فخ ايضاً، يبرز نقيضه في التوتر وتركيز الانتباه ... الذي يفرض على كل رجل تأكيد رجولته في اي ظرف قد يطرأ ويعرضه لاختبار ما[١٢]. وهذا ما يجعل الرجال في تحد دائم لاثبات رجولتهم التي تتعرض للتشكيك بين الفينة والأخرى.

إن هذا النمط من الحياة يمكن ان نفسره في ضوء مفهوم (نموذج التوازن التفاضلي)*. إن هذا النموذج يكاد ينطبق بكل جوانبه على واقع الحياة الريفية وعلى اساليب التنشئة فيها، إذ هي كلها تصب في مصلحة الطرف الأقوى المتمثل بالرجل. وبالاضافة الى مفهومي التوازن والتفاضل اللذين يشتمل عليهما مفهوم التوازن التفاضلي، فهو ينطوي على مفاهيم اخرى عديدة، منها[١٣]:

---

* التوازن هنا يعني حالة بنائية قائمة على الاستقرار النسبي، ولا يرتكز بالضرورة على الندية او التكافؤ بين الاطراف المتفاعلة، بل قد يرتكز على (اتفاق مشترك) او معيار مشترك بين الاطراف المتفاعلة. في حين يشير التفاضل الى تفاوت الاطراف المتفاعلة من حيث القوة، وهذا التفاضل يشهد حالة من الاستقرار تعمل بكل محتواها لخدمة الطرف الاقوى، وتكرس خضوع الطرف الأضعف. **ينظر: محمد عبدالكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الجتماع، التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، المملكة الاردنية الهاشمية، ط١، ٢٠٠٨ ، ص٢٥٥-٢٥٦.**

- **مفهوم القوة:** الذي يعني قدرة احد الفاعلين على فرض ارادته على الاخر، بموجب المعايير الاجتماعية، وبغض النظر عما اذا كانت هناك مقاومة ناشئة ام لا (بحسب تعبير فيبر).
- **مفهوم القدرة:** الذي يتضمن قدرا من الحيادية، فالقدرة تحمل معنى الاستطاعة دون ان تتشكل الممارسة بالضرورة.
- **مفهوم المصلحة:** الذي يعني ان صاحب القوة يفرض ارادته لأنه يتحكم بالمصادر التي تنعكس فيها المصالح والحاجات الخاصة بالطرف الخاضع، وبالمقابل فإن الطرف الخاضع يمارس الخضوع، وقد يضطر احيانا الى التفنن في الخضوع لقاء مصلحة يجنيها من العلاقة رغم ادراكه احيانا ان ما ما يحققه من مصالح لا تمثل جميع ما يستحقه.
- **المعايير الاجتماعية:** فهي قواعد سلوكية تتحدد بموجبها الحقوق والواجبات في العلاقة، ويرى يونج انها ذات تعزيز ذاتي، وهذه المعايير تصاغ وتشكل وفق ما يرتضيه صاحب القوة في المقام الأول، وعلى هذا فالمعايير غير محايدة وغير عادلة.
- **مفهوم المقاومة:** ويعد من اهم المفاهيم في التوازن التفاضلي، لأن ظهور المقاومة يمثل مؤشرا هاماً على تشكيل الوعي التحرري عند الغالبية العظمى من الخاضعين، وكذلك مؤشر على مدى امكانية بقاء القوة

إن هذا النموذج (التوازن التفاضلي) استعمله علماء النظريات السوسيولوجية للتوفيق بين النظريات الوظيفية ونظريات الصراع، لكننا نجده اليوم مناسب الى حد كبير لتفسير حياة المجتمع الريفي القائمة على قوة وسلطوية الرجل مقابل خضوع المرأة والأسرة.

فنجد أن هذه المفاهيم التي ينطوي عليها مفهوم التوازن التفاضلي، كلها تخدم هيمنة الرجل وتزيد من سلطويته، وهي ما يؤكدها المجتمع ويعززها من خلال ثقافته. فالرجل بما أنه هو صاحب الوجاهة وهو المنفق، فهذا يعزز قوته، وبالوقت نفسه يضعف من موقف المرأة او اي فرد من افراد الاسرة. وقوته هذه تنطوي على قدرة، وقد يمتلك بعض افراد الأسرة او المرأة بالأخص على قدرة من نوع معين، لكنها لا ترقى الى مستوى قوة مؤثرة. هذا بالاضافة إلى ان الهيمنة التي يمارسها الرجل على افراد اسرته تنطوي على معايير سوغت للرجل هذه الهيمنة، وهذه المعايير تبدو وكأنها مصوغة لصالح الرجل، فهي تؤسس شرعية العلاقة التفاضلية بما فيها من اجحاف، فتعمل على تأطير ادوار القوة وادوار الخضوع والمسافة الفاصلة بينهما. ويزداد الرجل هيمنة كلما ضعفت فرص المقاومة عند الطرف الخاضع المتمثل بالمرأة والأسرة، وفي الغالب فإن فرص المقاومة لا تذكر لعدم توفر بيئة مشجعة على ظهورها.

يرى البعض ان الشخصية التسلطية هي نتاج التنشئة الأسرية المتسلطة التي يتلقاها الطفل في صغره، والتي غالبا ما تنطوي على اساليب القسر والاكراه.

المبحث الثالث

الاطفال

اولاً: انجاب الاطفال

يحدث الخصام احياناً بين الرجل والمرأة بسبب انجاب الأطفال، منهم من يريد المزيد، ومنهم من يريد الاقتصار على عدد محدد بسبب ظروف الحياة وزيادة متطلباتها، او لأي سبب كان. وقد حدثت حالات انفصال بين الزوجين جراء هذه المشاكل.

إن نمط انجاب الاطفال في المدينة يختلف عنه في الريف، فالمعتاد ان اهل المدن ينحون منحى الاقتصار على عدد محدد من الاطفال، ربما لضيق المسكن او ضيق العيش او هذه هي الثقافة السائدة في المجتمع المديني. في حين نجد الامر مختلف تماماً في الريف، إذ تتجه اغلب الأسر الى زيادة عدد الأبناء وخاصة الذكور، وذلك لعدة اسباب منها التباهي بهم، فكثرة الابناء وخاصة الذكور هي من دواعي الفخر في المجتمع الريفي. وايضاً هم يعتبرون عوناً لابيهم في اعمال الزراعة فهي المهنة الغالبة على حياة اهل الريف[xiv].

ولما كان الرجل في الريف له سلطة مطلقة على زوجته واسرته فهو يرغب بالمزيد من الأطفال غير مبالي بما قد يعرّض صحة المرأة للمرض او انهاك جسدها وقواها وذهاب شبابها. بل تجده يتزوج الاثنان والثلاثة والأربع رغبة في كثرة الولد. حتى ان النساء في المجتمعات الريفية قد اعتدن على هذه الحياة فهي لا تبدي اي مقاومة او انكار لهذه الممارسات التي سلبت كامل حقوقها.

لكن؛ والحق يقال، انه في الآونة الاخير نجد هناك اشبه بصحوة في بعض الأرياف من قبل المرأة بشكل عام وخصوصاً بعدما بدأت بعض الفتيات بالدخول في مرحلة التعليم الجامعي ومواصلة الدراسة ما غير بعض القناعات التي كانت مترسخة في اذهانهن.

ثانياً: تربية الأطفال

ذكر الوردي ان اغلب العوائل في المدن تدفع باطفالها الى الأزقة لكي يكونوا اشقياء اقوياء ولا يستطيع احد التغلب او الانتصار عليهم، وتريده الاسرة ان يكون كأبيه إذا مشى هز الارض باقدامه[xv]. لا اجد فرقاً بين هذا النمط الذي كان سائداً في المدن، وبين ما يجري اليوم في الارياف من تربية الطفل الذكر على انه هو صاحب الكلمة الفصل وانه هو الآمر الناهي، وما على البنت سوى السمع والطاعة.

إن هذا يتوافق الى حد كبير مع ينشده المجتمع من تربية الأطفال، الذين هم شباب المستقبل، فيجب ان تربي العائلة طفلها ليكون رجل بمعنى الكلمة، فهم ينظرون الى الشاب الذي يمكث في البيت او الذي لا يفرض كلمته على اسرته على انه (تربية نسوان) بزعمهم، اي يصفونه بالضعف وعدم القدرة على فرض فرمانات واجبة النفاذ على امه ومن هم اصغر منه سناً.

كما ان البنت التي تخضع لعملية تنشئة اجتماعية تنحو بها الى التصغير والتحقير، فإنها سوف تتمرس على الفضائل السلبية في التفاني والخنوع والصمت[xvi]، ونتيجة لممارسة الرجل الريفي هيمنته على المرأة وعلى الاسرة بشكل عام، وفرض ايديولوجيته ورؤاه، حتى في اساليب تربية الأبناء، فهو يعيد انتاج ثقافة الهيمنة التي يتمتع بها على المرأة والأسرة من خلال غرسها في الجيل الجديد المتمثل بأبنائه. ولهذا بقيت هذه العادة او الثقافة مستمرة تتناقلها الاجيال جيلا بعد جيل.

للنظرية النقدية رأي في هذا المجال، تقول أن نوع الافراد الذين تخرجهم العائلة يعبر عما يحتاجه المجتمع في مرحلة معينة من مراحل تطوره[xvii]. ولا نستطيع ان نجزم أن المجتمع يفرض هذا بشكل حتمي، ولكن ربما الثقافة السائدة في المجتمع في فترة زمنية معينة تستدعي أن تمارس العائلة نوعاً معيناً من التنشئة الاجتماعية للأطفال.

وثمة ما يعزز هذا الرأي هنا، هو إن العقل العراقي وخاصة الريفي لايزال يفرق في التنشئة بين الابناء فيبيح للذكور ما لا يبيحه للإناث، بل ويعطي الذكر غير ما يعطي الإنثى في كل شيء، ويأمر

البنت بالسمع والطاعة لأخيها، وان له القوامة والأفضلية عليها، وإن بعضهم يبيح للأخ ضرب الاخت من باب مسؤوليته عليها في غياب الأب. وعلى هذا فيجب عليها عدم الخروج عن رغبته بأي حال من الاحوال. وهذه التنشئة لا يمارسها الأب فقط، بل تجد حتى الأمهات قد استأنست لهذا النمط، او هي نشأت عليه فلا تدرك ما فيه من ضرر. وينشأ الطفلين على هذا النمط من التنشئة، حتى إذا كبر كلاهما كانت هذه التنشئة مترسخة ومتجذرة في اذهانهم، وهؤلاء بدورهم ينشئون ابناءهم على ما اعتادوا عليه، فيعيدوا انتاج هذا النمط الذكوري التسلطي. وهذه هي الثقافة السائدة في المجتمع والتي يسعى المجتمع الى تعزيزها من خلال تنشئة الاطفال بالشكل الذي يعزز من النزعة التسلطية لديهم.

إذن، فالعائلة كأفراد ليست فقط هم المسؤولون عن انتاج هذه الشخصيات عند الأطفال، وإنما العائلة كمؤسسة اجتماعية – ثقافية – سياسية تقوم بتنشئة الطفل وتربيته وتعليمه وفق نمط العلاقات السائدة اياً كان نوعها، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، تنمي ميل الافراد نحو التسلط وبخاصة المرأة عندما تساعد في خضوعها على تقوية هذه العلاقات التسلطية التي تعود الى النظام الابوي الذكوري[xviii].

من الملاحظ ان بعض الاطفال ممن يتمتعون بنسب ذكاء ونباهة عالية، يدركون الى حد ما هذا النوع من التنشئة ويبدون احياناً رفضهم او اعتراضهم على ما يمارسه ذويهم من أساليب في التنشئة، لكن ضعفهم وعدم قدرتهم لا تمكنهم من التغيير.

ما نشاهده اليوم وفي كثير من الاحيان أن مصير الأبوة يوقع الكآبة في النفس، فأغلب الآباء يبدون علامات السلطة وأماراتها، وهذا ما يدفع الاطفال الى ان يكتشفوا ان الاب ليس تلك الشخصية القوية بأي حال من الاحوال، فهو لم يعد القاضي العادل والحامي الكريم، كما كان يخيل اليهم[xix]. وبعد هذا فلا غرابة أن نجد الطفل ينظر الى ضعف الأب نظرة واقعية ويكف عن التماهي معه بوصفه مصدرا من مصادر الفخر والاعتزاز.

النتائج

لقد توصل الباحث من خلال دراسته هذه الى مجموعة نتائج وهي كالآتي:

١- من اسباب تناشز الفرد العراقي في الوقت الحاضر هو التغير السريع والمفاجئ الذي تعرض له المجتمع عقب الاحتلال الامريكي عام ٢٠٠٣.
٢- رغم الانفتاح الذي شهده المجتمع العراقي، لايزال الرجل وخاصة الريفي متمسك بالقيم والتقاليد التي تمنحه وتؤكد سلطته وهيمنته.
٣- ان العلاقات التي يقيمها الرجل خارج الزواج نجد لها مقبولية او غض النظر عنها من قبل المجتمع.

٤- ان نمط الحياة الريفية ينطبق عليه مفهوم (نموذج التوازن التفاضلي)، فالمجتمع يعيش بتوازن مستمر لمصلحة الطرف الأقوى (الرجل).
٥- تزداد فرص الرجل بالقوة كلما ضعفت فرص المقاومة عند الأسرة والمرأة.
٦- ان البنت التي تخضع لتنشئة اجتماعية تنحو بها الى التصغير والتحقير تتمرس على الفضائل السلبية في الخضوع والصمت.
٧- إن الاسر هي من يعيد انتاج ثقافة الهيمنة من خلال تنشئة الأبناء بطريقة سلطوية.
٨- إن نوع الافراد الذين تخرجهم العائلة يعبر عن حاجة المجتمع لهذا النوع من الافراد في مرحلة معينة من مراحل تطوره.
٩- بعض الاطفال الاذكياء والنبهين، يدركون الى حد ما نوع التنشئة الذي يمارسه عليهم ذويهم، ويبدون احياناً رفضهم او اعتراضهم لهذا النوع من الاساليب.

المقترحات

١- عمل برامج توعوية خاصة بسكان الارياف لتعريفهم بمكانة المرأة وحقوقها.
٢- عمل برامج تنموية خاصة بالنساء تتبناها وزارة المرأة ومنظمات حقوق الانسان لتنمية قدراتهن والنهوض بواقعهن.
٣- العمل على زيادة تعليم النساء الريفيات وتشجيعهن للدخول في المعاهد والكليات لمنحهن فرص عمل اكثر.
٤- تعليم النساء الريفيات بعض الحرف المنزلية البسيطة لرفع مستوى الدخل لديهن في سبيل استقلالهن اقتصادياً.
٥- الحد من عمليات الزواج المبكر للإناث، فهذا ما يجعلها تحت الوصاية المبكرة وهو ما يعيق ابداعها لإنشغالها المبكر بمسؤوليات البيت والزوج والأطفال.

Almasader

1– Dektor, Ghareeb Abdalsamee, albaheth alelmi alejemaee baen alnadariya walambereqeyah, shabab aljameah, aleskandariya, 2010, safha 119 .

2- Hanna Batato, aliraq, alketab alawal, altabakat alejtemaiayah walharakat althaoreya men alahd aluthmani hata qeyam aljumhoreya, manshorat dar alqabas, alkuait, 2003, safha 60.

3– Mostafa Alkhashab, derasat almujtama, maktabat alanjlo almasreah, Alqahera, bedoon sanat tabe, safha9 .

4– Doctor Ali alwardi, lamahat ejtemaeah men tareekh al Iraq alhadeth, almasder alsabeq, safha 299

5– Doctor Ali alwardi, fi altabeea albashareya, Lebnan, dar alfeker alejtemaee, tabah1, 2017, safha 50.

6– Doctor Ali alwardi, derasah fi tabeeat almujtamaʾ allraqi, bairout, tabʾa1, bedon sanat tabe, safha 217 .

7– Abbas Faisal, alawlamah wallenf almuʾaser, jadaleat alhaq walqoah, dar almanhal allubnani, bairut, lebnan, tabʾah 1, 2007, safha 166.

8– Abbas Faisal, alawlamah wallenf almuʾaser, almasdar alsabeq, safha 167 .

9– Sorat Alanbeya/ Ayah 23 .

10– Doctor Ali alwardi, derasah fi tabeeat almujtamaʾ allraqi, masder sabeq, safha 219.

11– Doctor Ali alwardi, lamahat ejtemaeah, masder sabeq, safha 305 .

12– Doctor kamal bomner, alnadhareya alnaqdeya le madrasat frankfort, men maks hurkhaimar ila aksel honeth, aldar alarabiah llelom nasheron, manshorat alekhtelaf, dar alaman, alrebat, tabʾa 1, 2010, safha 104.

13 –Bear Bordio, alhaimana althekoreya, tarjamat, dr. Salman qafarani, bairot, almonadhama alarabia lltarjamah, markaz derasat alwahdah alarabeyah, tabʾa 1, 2009, safha 83 .

14– Mohammad abdalkareem alhorani, masder sabeq, safha 256 wama badaha.

15 –Doctor Ali alwardi, derasah fi tabeeat almujtamaʾ allraqi, masder sabeq, safha 323.

16–Bear Bordio, alhaimana althekoreya, , masder sabeq, safha 82.

17-Alen haw, alnadareya alnaqdeya (madrasat frankfort), tarjamat Thaer Deeb, demasheq, manshorat wezarat althaqafah, afaq thaqafeyah, aladad\32, safha 157.

18–Ibraheem alhaidari, alshakhseyah almutaselatah wa shakhseyat aldektator, Ilaf, sahefah yameyah electroneyah, aladad\5752.

19–Alen haw, , masder sabeq, safha 163 – 164 .